المحاضرة 4

ديوان الأمير عبد القادر الجزائري

يعد الأمير عبد القادر رائد الحركة الأدبية في الجزائر، كما هو سامي البارودي في مصر، مؤسس الدولة الجزائرية الحديث كان رجل سياسة ودولة ودين، ورجل قلم وسيف...

التعريف بالشاعر:

ولد الأمير عبد القادر في القيطنة بواد الحمام بضواحي وهران سنة 1807 م، يمتد نسبه إلى الإمام الإدريس الأكبر ابن عبد الله بن الحسين حفيد الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي دخل المغرب العربي سنة 172هـ، تلقى تعليمه على يد والده وشيوخ من وهران، ذهب مع أبيه لأداء فريضة الحج عام 1826 وفي طريقه زار بلدان عربية عدة منها: تونس، ليبيا، مصر، سوريا، والعراق .

بعد احتلال الفرنسي اسندت قيادة المقاومة لمحي الدين والد الأمير عبد القادر بعد التفاف القبائل حوله، ولكبر سنه جعل ابنه قائدا سنة 1832 وتمكن من جمع الكثير تحت لواءه طوال سبعة عشر سنة من الجهاد المتواصل ضد الاحتلال الفرنسي، لكنه استسلم سنة 1847، نفي إلى مدينة أمبواز أين قضى فيها خمس سنوات ثم إلى اسطنبول بتركيا حيث منحه السلطان العثماني قصرا بمدينة بروسة، قضى فيه سنتين ليستقر أخيرا بدمشق في سوريا، حيث استقبله أهلها بكل حفاوة

توفي عن عمر يناهز 76عاما سنة 1883، وقد دفن بجوار الشيخ بن عربي بالصالحية بدمشق لوصية تركها/، وبعد الاستقلال نقل جثمانه إلى الجزائر عام 1965 ودفن بمقبرة العالية.

كتب في الشعر والنثر، ومن كتبه (المواقف) وهو كتاب ديني يتحدث فيه عن طريقته في التصوف، بالإضافة إلى ديوان شعري يتضمن مختلف الأشعار التي كتبها.

الأغراض الشعرية:

كتب في أغلب أغراض الشعر العربي ألف قصائد تدخل في إطار شعر المناسبات، وفي الوصف، وأشعارا في التصوف إلى جانب قصائد في الفخر والغزل .

الفخر :

يفتخر الشاعر كثيرا بنفسه باعتبار نفسه قائدا محنكا سواء في السلم أو في الحرب حيث يقول:

سوانا ليس بالمقصود لما ينادي المستغيث ألا تعالوا

ولفظ الناس ليس له مسمى سوانا والمنى منا ينال

لنا الفخر العميم بكل عصر ومصر ...هل بهذا يقال ؟

ويفتخر أيضا بنسبه إلى النبي بالإضافة إلى افتخاره بالرسول حيث يقول في قصيدته (وراء الصورة) :

ورثنا سؤددا للعرب يبقى وما تبقى السماء ولا الجبال

فبالجد القديم علت قريش ومنّا فوق ذا طابت فعال

لهم لسن العلوم لها احتجاج وبيض ما يثلمها النزال

سلوا تخبركم عنا فرنسا ويصدق إن حكت منها المقال

ويشبِه فخره بحسن البلاء في المعارك وبعلمه وأدبه المتنبي في قوله مخاطبا زوجته:

وعني سلي جيش الفرنسيس تعلمي بأن منياهم بسيفي وعسالي

سلي الليل عني كم شققت أديمه على ضامر الجنبين، معتدل عال

سلي البيد عني والمفاوز الربى وسهلا وحزنا كم طويت بترحالي

ومن الجوانب التي يفخر بها الشجاعة والفروسية والصبر على المكاره، حب المنازلة ، إجادة الإصابة الأخلاق الرفيعة، الفخر بالنسب، الوفاء، الإخلاص في القول والفعل

الغزل :

وقد ألف الأمير في زوجته قصائد كثيرة، أشهرها تلك التي سمّاها "قصيدة بنت العم"، إذ كانت أم البنين ابنة عمه، تزوّجها بعد قصة حبّ.

يقول في قصيدة (جودي بطيف) يعاني فيها من امتناع زوجته وجفائها :

جفاني من أم البنين خيال فقلبي جريح والدموع سجال

أحب الليالي كي أفوز بطيفها وأرجو المنى بل قد أقول أنال

ويصف امتناع حبيبته عنه وشكواه من معاملتها إياه:

أقاسي الحب من قاسي الفؤاد وأرعاه ولا يرعى ودادي

وأبكيها فتضحك ملء فاها وأسهر وهي في طيب رقاد

وأبذل مهجتي في لثم فيها فتمنعني وأرجع صاد

فما تنفك عني ذات عز وما أنفك في ذلي أنادي

ومن عجب تهاب الأسد بطشي ويمنعني غزال عن مرادي

ونجده في قصيدة أخرى بعنوان (فراقك نار) يتحدث عن زوجته التي تركها في بروسة حيث ذهب إلى اسطنبول طالبا من السلطان موافقته على الانتقال إلى دمشق يقول فيها :

أقول لمحبوب تخلف من بعدي عليلا بأوجاع الفراق وبالبعد

أما أنت حقا لو رأيت صبابتي لهان عليك الأمر من شدة الوجد

وإني وحق الله دائم لوعة ونار الجوى بين الجوانح في وقد

حنيني أنيني زفرتي ومضرتي دموعي خضوعي قد أبان الذي عندي

وقد هالني بل قد افاض مدامعي وأضنى فؤادي، بل تعدى عن الحد

فراق الذي أهواه كهلا ويافعا وقلبي خلي من سعاد ومن هند

فحلت محلا لم يكن حل قبلها وهيهات أن يحلل به الغير أو يجدي

ويقول في قصيدة عن امرأة ريفية:

أود بأن أرى ظبي الصحاري وأرقب طيفه والليل سار

يتيه بدله ويصول عمدا غني بالجمال فلا يداري

ويسلبني إذا تبدى بوجه في الإضاءة كالنهار

المدح:

يقول الأمير عبد القادر الجزائري في قصر "أمبواز" بفرنسا، لما تناهت إليه وفي حضرته، مناظرة بين مثقفين يفضل أحدهم الحياة البدوية ورومنسيتها، بينما يفضل الآخر حياة المدن وبرجوازيتها.

يا عاذرا لامرئ قد هام في الحضر وعاذلا لمحب البدو والقفر
لا تذممن بيوتا خف محملها وتمدحن بيوت الطين والحجر
لو كنت تعلم ما في البدو، تعذرن لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر

خصائص شعر الأمير :

كتب الأمير في أغلب الأغراض التي عرفها الشعر العربي القديم، مستعملا قوالبهم الجاهزة، وصورهم الموظفة.

-استعمال القوالب الجاهزة، حيث نلاحظ تشابه الصور الموظفة مع تلك التي نعرفها عند الشعراء القدامى؛ إذ أخذ من المتنبي، وعنترة ...

-دقة الوصف

-أما في الغزل فنلاحظ كثرة الشكوى من الحبيبة ومن بعدها وتمنعها ومماطلتها في سبيل غواية المحب، والمرأة في شعره في الغالب تأتي بأوصاف فتاة ريفية جميلة جمالا طبيعيا.

المراجع:

-ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تحقيق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر
-عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، تاريخ... وأنواع....وقضايا وأعلام د م ج، 1995.
-محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.